

آليات تفكيك الصورة النمطية لأصحاب العاهات في كتاب الجاحظ "البرصان والعرجان والعميان والحولان"

Mechanisms for Dismantling the Stereotype of People with Disabilities in
AL-JAHIZ'S Book, The Lepers, Lamé, Blind, and Cross-Eyed

* د. صباح غرايبية

Dr. Sabah Gheraibia

أستاذة محاضرة قسم أ، قسم الآداب واللغة والعربية،

جامعة قسنطينة 1 الإخوة منتوري (الجزائر)

University of Constantine 1, Mentouri Brothers (Algeria)

sabah.gheraibia@umc.edu.dz

تاريخ النشر: 2025/12/02

تاريخ القبول: 2025/10/27

تاريخ الإرسال: 2025/09/15

ملخص البحث

يركّز البحث على دراسة آليات تفكيك الصورة النمطية لأصحاب العاهات في كتاب "البرصان والعرجان والعميان والحولان"؛ حيث يعيد الجاحظ تشكيل صورتهم من خلال خطاب إنساني عقلائي يرفض الوصم والتمييز. وتكمن أهمية البحث في تقديم قراءة نقدية تراثية تعزز فهم حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة وربطها بالقضايا المعاصرة. وقد أظهرت النتائج براعة الجاحظ في استخدام آليات مثل الأنسنة، عكس النظرة السلبية، تفكيك ثنائية الكمال والتقص، واستخدام السخرية والبيان، ليحوّل أصحاب العاهات إلى شخصيات فاعلة ذات كرامة وقيمة، معزّزا بذلك خطابا إنسانيا يرفض التمييز على أساس المظهر الجسدي.

الكلمات المفتاحية: الجاحظ، أصحاب العاهات، الإعاقة في التراث العربي، آليات التفكيك، الصورة السلبية.

Abstract :

The research focuses on studying the mechanisms used by Al-Jahiz in dismantling the stereotypical image of people with disabilities in his book The Leprous, the Lamé, the Blind, and the Cross-eyed. Al-Jahiz reshapes their image through a humane and rational discourse that rejects stigma and discrimination. The significance of this study

lies in offering a critical reading of heritage that enhances understanding of the rights of people with special needs and connects it to contemporary issues. The findings reveal that Al-Jahiz employed mechanisms such as humanization, reversing negative perceptions, deconstructing the binary of perfection and imperfection, and using irony and eloquence, transforming people with disabilities into active, dignified figures, thus reinforcing a humane discourse that rejects discrimination based on physical appearance.

Keywords: Al-Jahiz, people with disabilities, disability in Arab heritage, deconstruction mechanisms, negative stereotype.



مقدمة:

يصنف أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت. 255هـ) كواحد من أبرز المفكرين والأدباء في التاريخ العربي الإسلامي؛ حيث جمع بين الفكر الفلسفي والبلاغة والأدب في مشروع فكري متميز. ولم يقتصر في كتابه "البرصان والعريان والعريان والحولان"، على سرد أخبار وحكايات أصحاب العاهات الجسدية، بل تجاوز ذلك ليعيد تشكيل صورتهم في الوعي الجمعي؛ إذ جاء هذا العمل كخطاب مضاد للصور السلبية السائدة التي كانت تصف هؤلاء الأشخاص بأنهم أقل قيمة أو مختلفون بطريقة تستدعي الرفض أو الإقصاء. ومن هنا يظهر دور الجاحظ في تفكيك هذه الصور، وتحويلها إلى خطاب إنساني عقلاني يعزز كرامة الإنسان وقيمه بغض النظر عن اختلافاته الجسدية. وتتحور إشكالية هذه البحث في السؤال التالي: ماهي الآليات التي اعتمدها الجاحظ لتفكيك الصورة السلبية السائدة لذوي العاهات وإعادة بنائها، وتحويلهم من موضوعات للوصم إلى ذوات فاعلة تستحق التقدير والاعتراف؟ وتتأق أهمية من الحاجة إلى فهم الدور الذي يشغله الأدب اجتماعيًا وقديًا في مواجهة الصور السلبية التي تغذي التمييز والتبذ، والوقوف عند فاعلية استراتيجيات الترد في التأسيس لخطاب إنساني جديد. ومن هذا المنطلق، تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الآليات التي استخدمها الجاحظ في تفكيك الصور السلبية لأصحاب العاهات، وتحليل كيفية إعادة بناء شخصيات البرصان والعريان والعريان بحيث تصبح ذات قيمة إنسانية وعقلانية تتجاوز المظاهر الجسدية، كما تسعى الدراسة إلى إبراز دور خطاب الجاحظ في مقاومة التمييز الاجتماعي والجسدي، وبيان أثر ذلك في تشكيل وعي اجتماعي أكثر إنصافًا. وعليه تكمن أهمية هذا العمل في تقديم قراءة معمقة لنص تراثي يعالج قضية الإعاقة والاختلاف من منظور إنساني نقدي، مما يثري الدراسات الأدبية والاجتماعية العربية، كما تسهم في ربط التراث الفكري القديم بالقضايا

المعاصرة المتعلقة بحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة ومناهضة الصور السلبية. كذلك محاولة إبراز قدرة الأدب على لعب دور فاعل في تفكيك الخطابات السائدة التي تركز التمييز، وتقديم بدائل قائمة على العقلانية والإنسانية. ولتحقيق هذه الغايات يعتمد البحث منهجاً تحليلياً نقدياً يركز على تحليل الخطاب السردى والبلاغي في نصوص الجاحظ، مع التركيز على آليات تفكيك الصور السلبية، وسيتم توظيف أدوات التحليل السردى لفحص بناء الشخصيات وأدوارها، وربط النص بسياقه الاجتماعي والتاريخي لتفسير أبعاده النقدية والإنسانية.

● مناقشة الدراسات السابقة ومشروعية الفجوة البحثية:

تتميز الدراسات السابقة التي تناولت كتاب "البرصان والعرجان والعميان والحولان" للجاحظ، بمواصفات بارزة ومتنوعة تعكس مكانة الكتاب في التراث العربي وعمقه الإنساني والاجتماعي والبلاغي. وقد تناولت هذه الدراسات موضوع ذوي العاهات والإعاقات من زوايا مختلفة، لكن الدراسة الحالية تطرح فكرة مغايرة تركز على تحليل آليات تفكيك الصورة السلبية لأصحاب العاهات في الكتاب، وليس مجرد سرد الوقائع أو عرضها.

فمن بين الدراسات التي تتقاطع مع البحث المقترح في الإطار العام، دراسة عباس عباس (2023) بعنوان "الجاحظ وذوو الاحتياجات الخاصة: كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان"¹، والتي تؤكد أنّ الجاحظ أولى ذوي العاهات عناية خاصة في كتابه، مقدّماً إليهم بصورة مشرقة تعكس احترامه وتعظيمه له؛ إذ لم ينظر الجاحظ إلى الإعاقة كعيب أو نقص، بل بنى تأليفه على فكرة أنّ العاهات لا تمنع أصحابها من بلوغ مراتب الشرف والسيادة، مستشهداً بشواهد أدبية ودينية تدعم هذا المنظور، وهو بذلك يرد على كتاب المثالب للهيثم بن عدي الذي كان ينقص من ذوي الإعاقات. وتعدّ هذه الدراسة موسوعة مؤسسية توضح تفرد الكتاب بجمعه بين وصف أنواع الإعاقات المختلفة وفضائل أصحابها، مع تسليط الضوء على المنهجية الإنسانية والاجتماعية التي اتبعها الجاحظ.

أمّا الدراسة الثانية، فهي بعنوان "الكتابة عن ذوي الهمم في التراث العربي"² من إعداد أماني حسن الشلقاني وأسامة محمد البحيري ونشرت في المجلة العلمية بكلية الآداب -جامعة طيطا (2023)؛ وهي في مجملها تؤكد على مكانة الكتاب المتميزة بين أمثاله من الكتب التي تناولت موضوع ذوي العاهات والإعاقات في التراث العربي؛ حيث يعظم الكتاب من شأن أصحاب العاهات ويظهرهم في صورة مشرقة رغم إعاقاتهم، وينقل مكانتهم العالية التي وصلوا إليها رغم المعاناة. يعتمد الجاحظ في ذلك على استشهادات من القرآن الكريم والحديث النبوي، مع عرض شواهد من أدب العرب القدامى والمعاصرين له، كما يردّ على المنتقسين من حقوق ذوي الإعاقات ويذمّمهم، ويثني أحياناً على بعض العاهات، وتشير الدراسة إلى أنّ هذا الكتاب يشكل موسوعة فريدة في التراث العربي، حيث يتناول كافة أنواع الإعاقات وفضائل أصحابها، ويميّز بتعامله الإنساني والاجتماعي المتفرد مقارنة بغيره من الكتب التي تناولت الموضوع بشكل موجز.

غير أنّ ما يميّز البحث المقترح هو أنّه لا يكتفي بكونه ردّاً أو متابعة للدراسات السابقة، بل يسعى إلى سدّ فجوة بحثية نقدية منهجية هادفة تكمن في دراسة آليات تفكيك الصورة السلبية لأصحاب العاهات في الكتاب. ويهدف بذلك إلى تحليل كيفية استخدام الجاحظ لتقنيات سردية وبلاغية واجتماعية تفكيكية لإعادة تشكيل الصورة السائدة، ممّا يعزّز التداخل بين النقد التراثي والنقد المعاصر. ويسعى البحث إلى إظهار كيف يمكن للنص التراثي أن يساهم في

إعادة بناء تصوّرات اجتماعية وثقافية معاصرة تتعلّق بذوي الهمم، ممّا يجعله فتحًا جديدًا يمزج بين التراث والحداثة في فهم الصورة التمثيلية والتعامل معها عبر آليات نقدية متجدّدة.

1-تمثيلات أصحاب العاهات في المؤلفات التراثية العربية:

إن المتصفح للمؤلفات التراثية، تستوقفه جملة من الأعمال التي تعرّض أصحابها لموضوع ذوي العاهات أو ذوي الاحتياجات الخاصّة من زوايا مختلفة، ويكشف التأمل فيها عن تطوّر النظرة الاجتماعية والثقافية تجاههم عبر الزمن، ولعلّ الجدول التالي يسهم في تقديم لمحة موجزة عن أبرز المؤلفات التي تناولت هذه الفئة، موضحًا صورة أصحاب العاهات كما عُرضت في كلّ عمل، بدءًا من النظرة السلبية والانتقاصية في المراحل المبكرة، مرورًا بالتوثيق الحيادي والاحتفاء بإنجازاتهم، وصولًا إلى التأمّلات الفلسفية والبعد الطبي والاجتماعي المتكامل على النحو التالي³:

اسم المؤلف (تاريخ الوفاة هـ)	اسم الكتاب / العمل	صورة أصحاب العاهات في الكتاب / تناول
الهيثم بن عدي الطائي (207 هـ)	كتاب المثالب (أو المعاييب)	صورة سلبية: كانت صورة أصحاب العاهات سلبية إلى حدّ كبير، حيث ركّز فيه المؤلف على جمع "مثالب" العرب وعزّفها على أنّها عيوب وقائص يستخدمها في الهجاء والانتقاص من الأفراد والقبائل وكانت العاهات الجسدية مثل البرص، العرج، والعمى ضمن هذه "المثالب" التي تبرز كوصمة تُستخدم في التشهير والنقد السلبى.
أبو جعفر محمد بن حبیب البغدادي (245 هـ)	كتاب المخبّر (فصل عن ذوي الهمم)	صورة حيادية: جاء في الكتاب ذكر ذوي العاهات ضمن سياق سرد الأسباب والأخبار التاريخية دون إصدار أحكام أو تحليل مدح أو ذم، وإنما يقدّمهم كحقائق تاريخية ضمن شجرة النسب وحكايات الشخصيات، مع الحفاظ على الطابع الحيادي والتوثيقي. بمعنى الإشارة والتعريف بذوي العاهات من الأشراف دون حكم، مع وصف لأسانهم وأحوالهم وأدوارهم.
أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (255 هـ)	البرصان والعرجان والعميان والحوالان	صورة إيجابية: بحيث يردّ الجاحظ الاعتبار للعاهات الجسدية بالتركيز على الحكمة والشجاعة والإنجازات، وتقديمهم كصدر فخر وإنسانية، فتكون الصورة إيجابية وتصحيحية لأصحاب العاهات، ردًا على النظرة السلبية التقليدية التي عرضها كتاب "المثالب" للهيثم بن عدي. الكتاب بسطّ الضوء على العديد من الشخصيات من البرصان والعرجان والعميان والحوالان الذين كانوا من الأعلام والمشاهير في المجتمع العربي، مؤلفًا على أنّ العاهة الجسدية ليست عائقًا أمام الحكمة، الشجاعة، والإنجاز.
ابن قتيبة الدينوري (276 هـ)	المعارف	صورة توثيقية محايدة: فيه يتمّ تناول صورة ذوي العاهات بشكل توثيقي وحيادي بعيدًا عن الأحكام السلبية أو المدح المباشر؛ بحيث يذكر ابن قتيبة حالات من ذوي العاهات مثل البرص والعرج والعمى، ويوردها كمعلومات وصفية ضمن سياق التعريف بالشخصيات وأخبارهم، كجزء لا يتجزأ من هويتهم، تمامًا مثل ما يذكره من أنسابهم أو تاريخ ولادتهم أو مواقعهم الاجتماعية.
أبو الفرج الأصفهاني (356 هـ)	كتاب الأغاني	صورة ضمنية: تظهر صورة ذوي العاهات ضمن سياق واسع وشامل للأدب والشعر والغناء، ولأنّ الكتاب موسوعة شاملة تتناول حياة الشعراء والمفكرين من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي، لا يركّز الأصفهاني بشكل مباشر على ذوي العاهات، لكنّه يقدّم العديد من التراجم لأدباء وشعراء وصفت بعضهم بالعاهات مثل العمى، ويقدم قصصهم وأشعارهم التي تظهر كيف تعامل المجتمع معهم وكيف أثّرت إعاقتهم على فنهم وحياتهم (كالأعمى بشر بن برد).
أبو العلاء المعري (449 هـ)	رسالة الغفران	صورة نقدية- فلسفية: صورة أصحاب العاهات في كتاب "رسالة الغفران" لأبي العلاء المعري تشير إلى تصوير نقدي لعدد من الشخصيات التي تعاني من عاهات أو نقائص، يعكسها الكاتب في إطار فلسفي وأدبي عميق داخل نصّه الذي يحكي رحلة في الآخرة: حيث يعمد المعري إلى النقد اللاذع للتناقضات المجتمعية والدينية والفكرية وتقديم حكم أدبي وفلسفي من خلال سرد حوارات وأحداث رمزية، والنص على هذا الأساس لا يقدّم صورة واحدة محدّدة لأصحاب العاهات بل يستخدم كمنهج للحالات الإنسانية المختلفة التي تعكس حالات نفسية واجتماعية وروحية، مستحضّرًا بذلك صورًا متخيّلة تحمل دلالات فلسفية عميقة.

ابن عبد البر القرطبي (463 هـ)	بهجة المجالس وأنس المجالس	صورة أدبية: تستجمع قطع هذه الصورة الأدبية بتتبع ع رض الأخبار والوقادر عن ذوي العاهات، وجميعها تكشف عن تداول المجتمع لهذه القصص كمواد أدبية وحكم.
أبو عبد الله محمد بن عبد الملك ابن الجوزي (597 هـ)	كتاب الأذكياء	صورة أخلاقية وعظمية: يتكون الكتاب من 33 بابًا تتناول موضوعات متعددة حول أخبار وأمثال الأذكياء، ذوي الذكاء والفطنة، وعلى الرغم من أن الكتاب لا يحتوي على باب مخصص حصريًا لأصحاب العاهات، إلا أن هذه الفئة تُذكر في سياق سرد القصص المروية ضمن أبواب مختلفة، حيث يستعرض ابن الجوزي قصص أشخاص ذوي ذكاء فائق من مختلف الطبقات، ويذكر أن بعضهم من ذوي العاهات، مع إبراز الذكاء والفطنة كنعمة إلهية تفوق العاهة الجسدية، لهدف ترويض وتوعوي.
صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (764 هـ)	نكت المهيان في نكت العميان	صورة احتفائية توثيقية: الكتاب معجم تراجم مكرس للعميان، يحتوي إنجازاتهم ويزر تفوقهم رغم فقدان البصر.
جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (911 هـ)	الازدهار فيما عقده الشعراء من الإشارة	صورة تجميعية موسوعية: يعتمد السيوطي إلى جمع الأشعار والتوارد التي تشير إلى العاهات، دون تحليل نقدي وإنما للتوثيق الشامل وهذا يشمل وصفه لأصحاب العاهات كما قد يظهر في إطار الوصف الأدبي والفكري للشخصيات والتأرجح المختلفة في الشعر؛ حيث تتنوع الصور ما بين الإنسان العادي والمعاق أو المختلف بطروفه. وبالتالي يقدم الكتاب نماذج تصويرية لأصحاب العاهات ضمن سياق نقدي وتوثيقي لإظهار الحقيقة التي وردت في الشعر، ومن خلال الأحاديث والآثار التي تؤرخ لأحوال ومواقف الشعراء مع مختلف الطبقات والأفراد بما فيهم أصحاب الحالات الخاصة كالعاهات ولعل صورة هؤلاء الأشخاص في الكتاب ليست مجرد وصف ظاهر، بل تتضمن معاني أدبية وانعكاسات فكرية حول وضعهم الاجتماعي والتفسي وارتباط ذلك بالشعر الذي يصفهم.
أبو نعيم الأصفهاني (القرن الرابع هـ)	الطب النبوي (باب علاج البرص وما يورثه)	تناول طبي وعلاجي لموضوع البرص وما يرافقه من أمراض، يعكس اهتمام التراث بالتواحي الطبية، ويمكن تلخيص أن الصورة في "الطب النبوي" لأبي نعيم هي مزيج من الوصف الطبي الدقيق، الحكمة الدينية، والتشجيع على الصبر والتسامح الاجتماعي تجاه المصابين.

الجدول 1: صورة أصحاب العاهات في المؤلفات التراثية

عبر هذا العرض المختصر يمكن استجلاء تطور النظرة إلى ذوي العاهات في التراث العربي الإسلامي؛ حيث بدأت في مراحلها الأولى سلبية ومشحونة بالوصمة والعيب، كما تجلّى ذلك في كتاب الهيثم بن عدي الذي جمع "مثالب" العرب في إطار هجائي وانتقاصي، ومع مرور الوقت، جاء الجاحظ ليحدث تحولاً جوهرياً في هذا المجال حين أعاد الاعتبار لأصحاب العاهات وقدمهم كشخصيات ذات حكمة وشجاعة وإنجازات، مما جعلهم مصدر فخر وكرامة إنسانية، وفتح بذلك المجال لتقديرهم بعيداً عن نظرة الإعاقة فقط. في المرحلة التالية، قدم كل من ابن قتيبة وأبو الفرج توثيقاً حيادياً أو ضمنياً، عكس المكانة الفنية والاجتماعية لذوي العاهات دون إصدار أحكام إيجابية أو سلبية صريحة.

ومن جانب آخر، أضاف أبو العلاء المعري بعداً فلسفياً وإنسانياً عميقاً من خلال تأملاته الذاتية في العمى، مما أتاح فهماً نفسياً متقدماً للمعاناة والتجربة الإنسانية للمعاقين، كما شهد التراث اهتماماً أدبياً وتربوياً بارزاً في مؤلفات ابن

عبد البرّ وابن الجوزي؛ حيث استخدمت قصص ذوي العاهات كوسائل لنقل العبر والقيم الأخلاقية والتعليمية. وفي القرون اللاحقة، شهد التوثيق والاحتفاء بإنجازات ذوي العاهات توسّعاً ملحوظاً في أعمال الصّفيدي والسيوطي؛ حيث تمّ التركيز على قدراتهم وتفوّقهم رغم الإعاقات التي يعانون منها. إضافة إلى ذلك، لم يغفل التراث الجانب الطبي؛ إذ تناولت مؤلفات مثل "الطب النبوي" علاج الأمراض المرتبطة بالبرص وغيرها، ممّا يعكس شمولية اهتمام التراث بموضوع ذوي العاهات من جوانب اجتماعية، فكرية، فلسفية، وأخلاقية، إلى جانب العناية الطبية.

2- مضمون كتاب البرصان والعريان والحولان وقيمه الأدبية:

يُعَدّ كتاب «البرصان والعريان والحولان» أحد أعمال الجاحظ الرائدة في التراث العربي؛ إذ يتناول قضية التشوهات الجسدية والعاهات من منظور إنساني حضاري بعيداً عن السّخرية والهزاء المعتادين في أدبه، وقد جاء الكتاب كردّ فعل على مؤلّف سابق تناول أصحاب العاهات بالسّخرية، فاختار الجاحظ أن يكتب كتاباً يمجّدهم ويدافع عن كرامتهم، مستعرضاً في ذلك مواقف وأشعار العرب القدما والمعاصرين التي تعكس احترامهم واعتزازهم بأصحاب العاهات، حتى وصل الأمر إلى الفخر بها أحياناً⁴ مقدّماً رؤية إنسانية وحضارية متقدّمة تجاه ذوي العاهات؛ إذ لم يكن الكتاب مجرد سرد لأساء وأخبار، بل كان مشروعاً فكرياً يهدف إلى تفكيك الصور التمثيلية السلبية وتقديم دلالات جديدة تتجاوز النظرة السطحية للعيب الجسدي. وقد تجلّى ذلك في تصنيفه لذوي العاهات الذي يحمل دلالات عميقة تعكس منهجه، ونظرته الشاملة للطبيعة البشرية، وسعيه لرد الاعتبار لهذه الفئة المهمّشة في المجتمع⁵.

واللّافت في هذا الكتاب امتيازُه بالجديّة والبعد الأخلاقي؛ حيث يؤكّد الجاحظ على احترام خصوصيات هؤلاء الأشخاص وضرورة كتمان الأطباء والمغتسلين لما يطلعون عليه من عورات وأسرار⁶، وتسليطه الضوء على نظرة العرب السلبية وتعاملهم المنتقص مع الجسد وأعضائه، ويستند في التأسيس لرؤيته المختلفة على نصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ممّا يمنحه بعداً دينياً وأخلاقياً. وبالإضافة إلى تركيزه على البرصان والعريان أكثر من العميان والحولان، نجد إضافات مسهبة للكتاب في ذكر عاهات لم ينص عليها في العنوان، كالخدب، والوقص، والأدران، والمفاليج، والأشجّين، ومن أصابته اللقوة واعوجاج الوجه، وذوي الأعضاء المرغوب عنها لشبهها بالحيوان، ومن سقي بطنه، ومن قتلته الصّواعق والرياح، وصغار الرّؤوس وكبارها، والكلام في الأعناق، والصلع والقرع وذوي الجهم، والأعين والأعسر والأضبط⁷، ممّا يجعل عمله مشروعاً متكاملًا يمسّ جميع أنواع العاهات وأصحابها، ومادة موسوعية غنية تجمع بين سرد التاريخ، وذكر أشهر الشخصيات من ذوي العاهات، والنقل عن الشعر والأقوال، مع تحليلات نقدية تركّز على تجاوز العاهة إلى إبراز الكرامة والفضائل.

تتجلّى القيمة الفكرية المحورية لكتاب "البرصان والعريان والحولان" في كونه عملاً تأسيسياً في الفكر الإنساني العربي، يهدف إلى إعادة تعريف القيمة البشرية بعيداً عن المقاييس الجسدية والمظاهر الخارجية. فهو يسعى بشكل واعٍ إلى تفكيك الصور التمثيلية السلبية التي ربطها المجتمع بأصحاب العاهات، ويقدم بدلاً منها نماذج حيّة لأشخاص تفوّقوا في العلم والشعر والسيادة والشرف رغم ما بهم من علل. وفي هذا السياق يؤكّد محقق الكتاب عبد السلام محمد هارون، أنّ غاية الجاحظ لم تكن التسلية أو السّخرية، بل كان هدفه هو "أن يدفع عنهم ويبرز محاسنهم ويشيد بذكر من نبغ منهم"، ليثبت أنّ العاهة لم تكن عائقاً أمام نبوغهم⁸، وهو دليل على منهج الجاحظ في تحويل أيّ

موضوع مهم بدأ هامشياً إلى مادة للبحث في طبائع الناس وأحوال المجتمع. وذلك من خلال رصد الدقيق وتحليله النفسي والاجتماعي، وبالتالي فإن قيمة الكتاب لا تكمن في كونه سجلاً تاريخياً فحسب، بل في كونه بياناً فكرياً مبكراً يدافع عن كرامة الإنسان ويؤسس لمفهوم القيمة الحقيقية القائمة على العقل والخلق والإنجاز.

لقد حظي هذا الكتاب في الدراسات الحديثة باهتمام واضح، لكنه اتخذ طابعاً تخصصياً وعميقاً أكثر منه شعبياً أو واسع الانتشار مقارنة بأعمال الجاحظ الأخرى مثل "الحيوان" و"البخلاء". فقد تطوّرت الدراسات حوله من مجرد الإعجاب بأسلوب الجاحظ وجمعه للمادة، أو التركيز على عيوبه ونقائصه⁹، إلى تحليلات منهجية وفكرية معمّقة، يمكن تلخيص محاورها في عدّة نقاط رئيسية:

أ. الدراسات الأدبية والأسلوبية: ركّزت على عبقرية الجاحظ في تحويل موضوع يُنظر إليه على أنّه مقصور على أهل الطب أو النواذر إلى "أدب رفيع"، فخلّلت أسلوبه¹⁰، وبراعته في بناء شخصيات حيّة من خلال أخبار متفرقة.

ب. الدراسات الاجتماعية والتاريخية (السوسيولوجية)¹¹: وهذا هو المجال الذي حقّق فيه الكتاب شهرة حديثة؛ إذ ينظر الباحثون إليه باعتباره "وثيقة سوسيولوجية" نادرة تكشف عن بنية المجتمع، ونظراته للفئات المهمّشة، والأحكام المسبقة، وكيفية تفاعل الأفراد مع "العاهة" سواء كانت لديهم أو لدى غيرهم.

ج. دراسات الإعاقة (Disability Studies): مع صعود هذا الحقل الأكاديمي في الغرب، أُعيد اكتشاف كتاب الجاحظ كواحد من أقدم النصوص في تاريخ الحضارات التي تتعامل مع "الإعاقة" من منظور اجتماعي وليس فقط طبّي. وقد ركّز الباحثون على تحليل الطريقة التي قدّم بها الجاحظ النموذج الاجتماعي للإعاقة¹² (Social Model of Disability)، الذي يرى بموجبه أنّ العائق الحقيقي ليس في الجسد، بل في نظرة المجتمع وأحكامه المسبقة. في حين وضّحت بعض الدراسات¹³ أهميّة الكتاب في دراسة الإعاقة من منظور تاريخي ونفسي، وعرضت كيف ناقش الجاحظ موضوع الإعاقات الجسدية والاجتماعية فيه.

3- دلالات تصنيف ذوي العاهات في كتاب الجاحظ¹⁴:

يقدم الجاحظ تصنيفاً دقيقاً ومتنوعاً لشخصيات ذوي العاهات الجسدية، مثل البرصان والعرجان، بالإضافة إلى حالات أخرى من التشوّهات الجسدية، وهو في ذلك لا يقتصر على ذكر الأسماء فقط، بل يسلّط الضوء على التنوع الاجتماعي والثقافي لهؤلاء الأفراد؛ حيث يجمع بين القادة، الشعراء، الفرسان، والأشراف، مؤكداً أنّ العاهة لم تكن عائقاً أمام الإنجاز والمكانة الاجتماعية، كما يدمج بين الوصف الطبي والتحليل الأدبي، ليعكس رؤية إنسانية شاملة تحترم التنوع وتزيل الوصمة الاجتماعية المرتبطة بالإعاقات، ولعلّ الجدول التالي يعرض تنظيمًا مبسّطاً ومحدّثاً لهذا التصنيف:

الرقم	التصنيف الرئيسي	التصنيفات الفرعية لنوي العاهات / الأمثلة	ملاحظات
1	البرصان	-مشاهير تخورون بعاهتهم (الحارث بن حلزة، الفارس السلمي...)	إبراز الفخر بالهوية رغم العاهة
		-رؤساء وقادة وشعراء (بلعاء بن قيس، مالك ذو الرقية...)	مكانة اجتماعية مرموقة
		-أشراف، خطباء، فرسان (شيطان بن عوف، سعد الأترم...)	دور اجتماعي وثقافي متنوع
		-غير أبرصين فعلياً (الأبرش الكلبي، البرشاء أم قيس...)	تمييز بين البرص والابرش
		-شعراء ورواة وعميان (علي بن جبلة، عبد الأبرص...)	دمج العمى مع البرص
		-آباء وأمهات وأسماء مجهولة	توثيق شامل

2	العرجان	-شخصيات بارزة (الحارث الأعرج، يزيد جرد بن شهريار...)	تنوع الرتب والمكانات
		-أشراف، فرسان، قادة (بنو الأدرم، أبو حازم الأعرج...)	تأثير العرج الاجتماعي
		-شعراء، فقهاء، رواة (أبو العلاء يزيد، معاذ بن جبل...)	المساهمة الثقافية
		-ملوك ونبلاء (يزيد جرد بن شهريار، عمر بن عبد الحميد...)	العرج لا يمنع النبيل
		-عرج ناتج عن الحرب أو الحوادث (حاتم بن عتاب...)	أسباب مكتسبة للعرج
		-عرج في الحيوانات وأنماط المشي المختلفة -أوصاف طبية وعلمية تفصيلية (الأعوجاج، مشية الخيلاء...)	دمج علمي وثقافي مزج الطب والفلكلور
3	حالات أخرى من العاهات الجسدية	-أشراف يضم (عمران بن الحصين، خباب بن الأرت...)	حالات خاصة مع توثيق الشخصيات
		-قتلى الصواعق والرياح (تشوهات جسدية مرتبطة بالطبيعة)	تأثيرات بيئية وطبيعية
		-الحذب والوقص (واصل الأحذب، مالك بن سلمة...)	تصنيف تشوهات محددة
		-الأدران (الحنات بن يزيد المجاشعي)	فئة مميزة
		-اللقوة (الحكم بن أبي العاص، عيينة بن حصن)	حالات طبية محددة
		-المقاليج والفالج (عباد بن الحصين، إدريس النبي...)	شلل وحالات حركة
4	موضوعات طبية وثقافية متنوعة	-الأشعجين (بلال بن عبد الله، عمر بن عبد العزيز...)	تشوهات أخرى
		-أعضاء الذئاب والكلاب، الرؤوس والأحجام، الأعناق الطويلة...	مواضيع متنوعة في الصحة والمظهر
		-الصلع، القرع، القرعان، فضل اليد اليمنى على اليسرى	دراسة مجتمعية وثقافية
5	الكتب والمراجع ذات الصلة	-كتاب الهيثم بن عدي (موضوعات العمى، العور، الحولان...)	مراجع ومصادر مهمة في دراسة العاهات

الجدول 2: دلالات تصنيف أصحاب العاهات في كتاب البرصان والعرجان والعميان والحوالان

يكشف هذا الجدول عمق رؤية الجاحظ في تناول موضوع العاهات الجسدية من زوايا متعددة تجمع بين التاريخ، الاجتماع، والطب. حين يعرض صورة متكاملة لشخصيات متنوعة من مختلف الطبقات والمهن. ويمكن الوقوف على منهجه في تصنيف هذا الكتاب على النحو التالي:

- **شمولية وتنوع:** يغطي الكتاب طيفاً واسعاً من الشخصيات، من ملوك وأشرف إلى شعراء وفقهاء وعبيد، مما يبرز أنّ العاهة لم يكن عائناً أمام المكانة الاجتماعية أو الإبداع الثقافي.
- **التوثيق الموسوعي:** يقدم الجاحظ سرداً موسوعياً يجمع بين الأساء، الألقاب، والأحداث التاريخية، ويعرض حالات ذوي العاهات المختلفة، سواء كانت خلقية أو مكتسبة، مع إضافة وصف تفصيلي لحركات المشي وأماطها، حتى في الحيوانات.
- **الجمع بين العلم والأدب:** يتداخل في هذا الكتاب الجانب العلمي الطبي مع الجانب الأدبي والشعري، حيث يصف الجاحظ الاعوجاج والعرج مثلاً من منظور تشريحي وطبي، ويربط ذلك بأشعار وأقوال تعكس التجربة الإنسانية.

- **الاعتراف بالإنسانية والكرامة:** رغم التطرق للعاهة الجسدية، لا يغفل الجاحظ عن إبراز إنسانية هؤلاء الأشخاص، مسلطاً الضوء على إنجازاتهم ومكائهم، وهو ما ينسجم مع منهجه العام في الكتاب.
- **الأمثلة التاريخية:** يذكر الجاحظ أسماء بارزة عانت من العاهة الجسدية، مثبتاً أنّ العاهة لم تمنعهم من التميز والقيادة، مثل الموسيقين، القادة، الشعراء، والملوك، مؤكداً بذلك رفضه لأيّ وصم اجتماعي.

ولعلّ هذا ما يعكس فكر الجاحظ الموسوعي الذي يجمع بين التوثيق التاريخي، التحليل العلمي، والسرد الأدبي ليقدم صورة متكاملة عن ذوي العاهات الجسدية. ومن خلال هذا التصنيف الدقيق والشامل، يؤكد أنّ العاهة رغم كونها تحدياً جسدياً، لم تكن سبباً في تهميش أو إقصاء الأفراد من المجتمع أو من مواقع النفوذ الثقافي والسياسي، بل على العكس من ذلك فقد بين كيف يمكن لهذه العاهات أن تتعايش مع الإنجاز والكرامة، مما يعكس رؤية إنسانية عميقة تتجاوز المظاهر إلى جوهر الإنسان وقيمه.

أما عن دلالات هذا التصنيف فقد كان لاختيار الجاحظ لهذه الفئات الأربع (البرصان، والعرجان، والعميان، والحوالان) دلالات خاصة؛ إذ خصص لكل فئة مساحة لتحليلها وتقديم نماذج من الشخصيات التي اتصفت بها، مع التركيز على إنجازاتهم ومكائهم، ويمكن توضيحها كما يلي:

3-1- بين الجمال والتبل- البرصان (ذوو البرص): يُعتبر باب "البرصان"¹⁵ الأكبر في الكتاب، مما يعكس كثرة

من أصيبوا به، واللافت في معالجة الجاحظ لهذه الفئة هو كسره للصورة التمثيلية التي تربط البرص بالتفوق؛ إذ يورد شواهد على أنّ بعض العرب كانوا يرون في البرص نوعاً من الجمال أو علامة على المجد والتبل.

- **دلالة الجمال:** أشار الجاحظ إلى أنّ "أصل البلق إنّما هو في الفرس، والعرب تستعير ذلك وتضعه في مواضع كثيرة"¹⁶، ومنها أنهم كانوا يطلقون على الأبرص لقب "الأبلق" تشبيهاً له بالفرس الأبلق الذي يمتاز ببياض يختلط بسواده، وهو ما كان يعدّ ميزة جالية تزيد من قدر الفرس وقيمه.

• دلالة الفخر والشرف: يذكر الجاحظ أمثلة لشخصيات من السادة والرؤساء والشعراء الذين أصيبوا بالبرص ولم يمنعهم ذلك من الوصول إلى مراتب عليا، بل إن بعضهم تفاخر به ومن أشهر الأمثلة التي ساقها، بلعاء بن قيس بن يعمر، الذي كان زعيماً وأصيب بالبرص في كبره، وعندما سُئل عنه قال: "سيف الله صقله!"¹⁷؛ أي أن الله جعله يلمع، وهذه النظرة تحوّل العاهة من نقص إلى علامة مميّزة، ومن عيب إلى مصدر فخر، وكأنا أمام نظرية في (جاليات الفبح)¹⁸.

2-3- العزيمة رغم الإعاقة- العرجان (ذو العرج): في تناوله للعرج، لم يقتصر الجاحظ على ذكر أسماء المشاهير العرجان فحسب، بل قدّم تحليلاً يربط العاهة بالقوة والعزيمة؛ إذ يذكر قائمة طويلة من الأشراف والقادة والفقهاء والبلغاء الذين كانوا يعرجون¹⁹، مثل أبي طالب عم النبي، ومعاذ بن جبل، والأحنف بن قيس. ومن دلالات هذا الاستحضار:

• العرج لا ينقص في التدبير: يؤكّد الجاحظ أن العرج والعمى لا يستقدران ولا يتقرّزان منها ولا يعديان... ولا ينقصان في تدبير ولا يمنعان من سؤدد²⁰، وبهذا، يفصل بين القدرة الجسدية والقدرة العقلية والقيادية، وهي نظرة متقدمة جداً في عصره.

• العرج في الحيوان: كعادته في كتاب "الحيوان"، يستطرد الجاحظ ليتحدّث عن العرج في عالم الحيوان²¹، مثل الضبع والذئب، ثمّ يضيف على بحثه بعداً موسوعياً وعلمياً.

3-3- البصيرة والذكاء - العميان (ذو العمى): يقدّم الجاحظ رؤية تتجاوز حاسة البصر لتزكّر على البصيرة الداخلية، ففي مجتمع يُعلي من شأن الفصاحة والشعر، لم يكن العمى عائقاً أمام الإبداع. بل أكثر من ذلك لقد كان مقترناً بالذكاء والحكمة والبصيرة.

• الذكاء من العمى: يستشهد الجاحظ بالشاعر الشهير بشّار بن برد، الذي كان أعمى وتفاخر بذلك قائلاً: عميت جنيماً والذكاء من العمى²²، فيلخص هذا البيت فلسفة الجاحظ وهي أن فقدان البصر قد يولد قدرات عقلية وفكرية متفوّقة.

• الإدراك المتفوق: يرى الجاحظ أن الأعمى قد يدرك ببصيرته ما لا يدركه البصراء بأبصارهم²³، ثمّ يقلب مفهوم الإعاقة رأساً على عقب، ليصبح العمى في بعض السياقات ميزة لا نقصاً.

وعلى الرغم من أن الكتاب لا يتوسّع في الحديث عن "الحولان" بنفس القدر الذي تتوسّع فيه الأبواب الأخرى، إلا أن منهج الجاحظ يظل ثابتاً في ذكر الأعلام الذين اتصفوا بالحوّل، مع التركيز على مكانتهم الاجتماعية والعلمية، وتأكيد أن هذه السمة الشكلية لم تؤثر على جوهر الشخص أو قدراته.

3-4- دلالات إنسانية وحضارية: إن تصنيف الجاحظ في كتابه "البرصان والعرجان والحولان"

يتجاوز مجرّد الجمع والتصنيف ليحمل دلالات ومؤشّرات إنسانية وحضارية عميقة:

• رد الاعتبار الإنساني: يعدّ الكتاب رسالة لرد الاعتبار الإنساني لذوي العاهات، ورفضاً صريحاً للتخيرية منهم أو الشفقة عليهم.

• نقد اجتماعي: ينتقد الجاحظ بذلك نظرة المجتمع السطحية التي تحكم على الأفراد من خلال أشكالهم، ويدعو إلى تقدير الجوهر الإنساني المتمثل في العقل والأخلاق والإنجاز.

• تأكيد على الكرامة: يشدد على حقوق ذوي العاهات، مشيراً إلى أنّ لهم "ذمة وميثاق" على الأطباء الذين يطلعون على عيوبهم²⁴، مما يؤسس لمفهوم السرية الطبية واحترام كرامة المريض.

• نظرة عقلانية: يعكس الكتاب روح الفكر المعتزلي الذي ينتمي إليه الجاحظ، والذي يقوم على تحكم العقل والعدل؛ فمن غير العدل، من منظوره، أن تكون العاهة الجسدية، التي لا يد للإنسان فيها، سبباً للحكم عليه أو الانتقاص من قدره.

وعليه يمكن القول إنّ دلالات التصنيف في كتاب الجاحظ ليست مجرد تقسيات شكلية، بل هي بنية فكرية متكاملة تهدف إلى تغيير الوعي الاجتماعي، وتقديم رؤية جديدة ترى في الإنسان ما هو أعمق من مجرد جسده. لقد سبق الجاحظ عصره بقرون في الدعوة إلى احترام التنوع البشري وتقدير ذوي الاحتياجات الخاصة، ليس من باب الشفقة، بل من باب الاعتراف بقدراتهم وإنجازاتهم وكرامتهم الإنسانية الأصيلة.

4-آليات تفكيك صورة ذوي العاهات:

4-1-آلية الأنسنة ونزع "الفرائية (Humanization & De-exoticization)":

لطالما نُظِرَ إلى العاهة الجسدية كوصمة أو عقوبة إلهية، مما أفضى إلى عزل أصحابها وتهيشهم، ومن خلال تتبع حكايات البرصان والعرجان يمكن الوقوف على الثقل النوعية في التعامل الأدبي والاجتماعي مع ذوي العاهات في سرديّة الجاحظ التي جاءت لتقدم مقاربة ثورية تقوم على آلية مزدوجة: تجمع بين الأنسنة ونزع الفرائية؛ إذ لم يكن هدفه مجرد الدفاع عنهم، بل إعادة إدماجهم في الذاكرة الثقافية والتسيخ الاجتماعي كأفراد فاعلين ومؤثرين، وتتجلى هذه الآلية في محورين أساسيين:

• هدم جدار العزلة بالهوية (التعريف بالأسماء والأنساب): يرفض الجاحظ بشكل منهجي التعامل مع أصحاب العاهات ككتلة مجهولة، فبدلاً من أن يقول "قال أعرج" أو "روي عن أبرص" وهو ما يحول الشخص إلى مجرد عاهة ناطقة، فإنّه يصرّ على ذكر هويته الكاملة: اسمه، ونسبه القبلي، ومكانته الاجتماعية، وأحياناً لقبه وكنيته كذكره لـ "بشار بن برد العقيلي" أو "الأعشى الهمداني" أو "يزيد بن المقرغ الحميري"، وهو فعل معرفي مقصود، لأنّه يربط هذا الشخص بشبكة علاقات اجتماعية وتاريخية معروفة لدى القارئ، وينقله من خانة "الآخر الغريب والخيف" إلى خانة "الفرد المعلوم" الذي هو جزء لا يتجزأ من المجتمع العربي، له تاريخ وأصل وفصل وبهذا الإجراء تصبح العاهة مجرد صفة من صفاته، وليست كل ماهيته.

• استبدال الخوف بالتعاطف المعرفي (سرد تفاصيل الحياة والإنجازات): يتجاوز الجاحظ مجرد التعريف ليغوص في تفاصيل حياتهم التي تظهرهم كبشر متكاملين، فهو يروي نواذرهم التي تكشف عن سرعة بديهم، وأشعارهم التي تفيض رقة وقوة، وحواراتهم التي تدلّ على ذكاء وفطنة، ومواقفهم التي تعبّر عن شجاعة أو طموح أو حكمة؛ فعندما يروي الجاحظ كيف تفوّق الأعشى بشار بن برد على المبصرين في وصف معركة²⁵، أو كيف ردّ الأعرج

بذكاء على من عيّر بعرجته²⁶، فإنه لا يثير الشفقة، بل الإعجاب. إنه يدعو القارئ إلى بناء علاقة مع هؤلاء الأشخاص تقوم على فهم إنسانيتهم المشتركة وتقدير مواهبهم وقدراتهم. وبهذا يتحوّل "الخوف الغريزي" من المجهول والمختلف إلى "تعاطف معرفي" قائم على الإدراك والاحترام، مؤكداً أنّ العاهة الجسدية لا يمكن أن تكون عائقاً أمام التفوق العقلي أو الإبداعي.

وبالتالي تبين آلية الأنسنة سموّ تعامل الجاحظ مع أصحاب العاهات المختلفة؛ إذ يحوّلهم من مجرد "آخرين" مغيبين إلى شخصيات ذات حضور إنساني متكامل، ففي حالة بشار بن برد، لا يركّز الجاحظ على فقدانه للبصر، بل يبرز عبقريته الشعرية وقدرته الحسّية الفائقة²⁷، ممّا يعكس إعجاباً وتقديراً حقيقين. أمّا عند ذكر يزيد بن المفرّج²⁸، فيظهر الجاحظ كيف يحمي الشاعر كرامته ويعزّز مكانته الاجتماعية من خلال الشعر، متجاوزاً بذلك عاهته الجسدية. وفي قصة عبید الله بن زياد، يكسر الجاحظ الصورة السلبية عن البرصان عبر إبراز اندماجه في الأوساط السياسية ومكانته عند الخليفة²⁹. وفي أكثر من موضع يبرز ذكاءهم وسرعة بديهتهم، وهو دليل آخر على رفض الجاحظ للربط بين العاهة الجسدية ونقص القدرات العقلية.

إذا فهذه الأمثلة وغيرها الكثير تثبت أنّ الجاحظ لم يكتفِ بسرد الأحداث، بل استخدم أسماء وأنساب الشخصيات وربطها بسياقات اجتماعية معروفة، كما عرض تفاصيل حياتهم اليومية وإنجازاتهم، ليقول خطأً إنسانياً يعزّز التعاطف المعرفي ويهدم الصور النمطية السلبية المرتبطة بالعاهات الجسدية.

4-2-آلية عكس اتجاه النظرة (Reversing the Gaze):

يعكس الجاحظ في سرديته النظرة التقليدية التي تعتبر أصحاب العاهات أضعف وأقلّ قيمة، ويحوّلها إلى رؤية جديدة تركز على فضائلهم وإنجازاتهم، متجاوزاً سلبيات العاهة الجسدية، وتتجلى هذه الآلية في عنصرين رئيسيين:

- **التركيز على الفضائل لا المثلث:** بدلاً من جعل العاهة محورا للقصة، يضع الجاحظ الصفات الإيجابية مثل الفصاحة، الكرم، الشجاعة، والعلم في مركز الاهتمام، ولعلّه بذلك يُجبر القارئ على رؤية الإنسان كاملاً بإنجازاته وقيّمته، لا بعاهته فقط.

- **جعل صاحب العاهة هو الفاعل:** يصوّر الجاحظ أصحاب العاهات كشخصيات قوية فاعلة، تردّ على الانتقادات، تتفوق على الأصحاء، وتشارك في قيادة الجيوش والقضاء على الشر، ممّا يحوّلهم إلى مصدر إعجاب بدلاً من موضوع خوف أو استهجان.

وبهتين الخاصيتين يعمد الجاحظ إلى قلب النظرة السائدة تجاه أصحاب العاهات، من رؤية تقلّل من قيمتهم بسبب عاهاتهم الجسدية إلى رؤية تحفي الإنسانية والفكرية، بتركيزه على إبراز الفصاحة، الشجاعة، الكرم، والذكاء، وجعل هؤلاء الأشخاص فاعلين في مجتمعاتهم وليسوا مثيرين للشفقة أو الخوف. فهذه الآلية لم تعزّز فقط كرامة أصحاب العاهات، بل أسست لخطاب إنساني نقدي يرفض التمييز على أساس الإعاقة، ويؤكد على قيمة الفرد وإنسانيته بغض النظر عن شكله الخارجي.

4-3-آلية تفكيك ثنائية "الكمال والنقص" (Deconstructing the Perfection/Imperfection Binary):

ترتكز هذه الآلية على اعتبار كتاب الجاحظ "خطاباً مضاداً" (Counter-discourse)، يهدف إلى هدم وتفكيك أسس خطاب كتاب "المثالب" القائم على الخوف والتبذ، ولعلّ الخوف هنا ليس فقط خوف الفرد السليم من صاحب العاهة، بل خوف المجتمع من أنّ "التقص" قد يزعزع معايير "الكمال" الوهمية التي بناها (الجسد السليم = كمال، والجسد المعتل = نقص)، فسعى الجاحظ، بتفكيره العقلاني، إلى تفكيك هذه المعادلة، وتقديم مفاهيم جديدة:

• **الكمال الحقيقي هو كمال العقل والروح:** يطرح الجاحظ سؤالاً ضمنياً: ما قيمة الجسد السليم بعقل فارغ أو روح جبانة؟ وفي المقابل، يثبت بالحجة والبرهان أنّ العاهة الجسدية لم تمنع أصحابها من بلوغ الكمال العقلي أو الأخلاقي، ويعتبر نموذج "العميان" أبرز مثال؛ فهو يمتاز بين "البصر" (الرؤية بالعين) و"البصيرة" (الرؤية بالقلب والعقل)، موضحاً كيف لفقدان البصر أن يقوّي الحواس الأخرى كالسمع والذاكرة، ويصقل البصيرة. وهنا لم يعد العمى "نقصاً" مطلقاً، بل أصبح له جانب إيجابي مما يهدم أساس الخوف منه.

• **التعويض الإلهي:** يلتمح الجاحظ إلى فكرة أنّ الله قد يعوّض الإنسان عن نقص جسدي بموهبة عقلية أو روحية فائقة، مما يضيف على "التقص" طابعاً مقدّساً أحياناً، ويجعله علامة على الاصطفاء لا على التبذ.

4- 4 آلية استخدام السخرية والبيان (Using Irony and Eloquence):

يستخدم الجاحظ، سلاح - السخرية - البيان - والبلاغة لتفكيك خطاب الخوف وذلك بـ:

• **السخرية من الخوف نفسه:** في بعض التوارد، يسخر الجاحظ من ردود فعل الناس الخائفة أو الساذجة تجاه أصحاب العاهات، مما يكشف تفاهة هذا الخوف وعدم عقلانيته.

• **قوة الحجّة:** الكتاب بأكمله هو حجّة عقلانية ومنطقية، فهو يقول للمجتمع: "أنتم تخافون من هؤلاء وتحتقرونهم بناءً على مظهرهم، ولكن انظروا إلى قائمة إنجازاتهم التي تفوق إنجازات الكثير منكم. إذن، خوفكم واحتقاركم لا أساس له من الصحة".

5- آلية تسريد خطاب العاهة:

تميّز الجاحظ بأسلوبه الفكري الساخر والتقدي الذي يعكس عبقريته في تحليل الظواهر الاجتماعية واللغوية، وقد تناول في كتابه موضوع العاهة بحس نقدي لاذع، مستنداً إلى مزيج من الفكاهة والبلاغة والجدل الفكري، ليكشف عن أبعاد هذه الظاهرة وتأثيراتها على الفرد والمجتمع، ومن خلال تسريده لخطاب العاهة، استعرض الجاحظ بذكاء الحثييات اللغوية والاجتماعية التي تحيط بها، مسلطاً الضوء على التناقضات والسلوكيات المحيطة بها بأسلوب يجمع بين العمق الفكري وروح الدعابة، مما يجعل تحليله لهذا الموضوع نموذجاً متميزاً في الأدب العربي القديم. ومن تقنياته:

أولاً: **البناء السردى والجدلي:** يتداخل في هذا الكتاب نوعان من البنية: السرد الذي يعتمد على حكايات ونوادر، والجدل الذي يتركز على العرض العقلي والتقاش الحجاجي، وهذا المزج بين القص والعقل يتيح للجاحظ أن يقدم نماذج بشرية ذات عاهات في قالب قصصي ظاهري طريف، لكنه يحمل دلالات عميقة عن التهميش والتمييز. وخطابه على هذا الحال لم يهدف إلى السرد أو التشهير بالمصابين بالعاهة كما فعل غيره، بل استعمل الموضوع كوسيلة لإظهار نظرة العرب في أديهم وشعرهم لهؤلاء الأشخاص، وتبسيط الضوء على تعاملهم الإنساني الزفيع معهم بالكلام

والفعل، حتى وصل الأمر أحياناً إلى المبالغة في مدحهم بناءً على مظهرهم أو استنارهم³⁰. وهذا النوع من السرد يُدمج الجدل بالتواد، فيُنتج خطاباً نقدياً يوجّه ضدّ البنية الثقافية المسيطرة التي تساوي بين الجمال والقيمة.

ثانياً: تعدّد الأصوات وتنوع الحكايات: تعدّد الأصوات هو مصطلح نقدي حديث يشير إلى الخطاب الروائي الذي تتعدّد فيه الأصوات الساردة؛ أي أصوات تنزّل من وجهات نظر متعدّدة. ويعود هذا المفهوم إلى ميخائيل باختين الذي وصفه بـ "البوليفونية"؛ إذ تتفاعل في النص روايات وأصوات مختلفة تحمل أيديولوجيات وآراء متعدّدة مستقلة غير مترابطة أو متفوّقة على بعضها، مما يعطي النص تعدّدية أيديولوجية ومعرفية وسردية، مما يخلق خطاباً سردياً مفتوحاً وحيوياً³¹، وهو تماماً ما اعتمدته الجاحظ في هذا النص؛ حيث يستحضر أصوات المجانين، والبرصان، والعميان، والمخالفين، ويجعلهم يتكلمون عن أنفسهم أو تُروى قصصهم من وجهات نظر متعدّدة، وهذا التعدّد يحقّق نوعاً من الانفتاح الخطابي، ويُفسح المجال أمام الهامش ليظهر في النص بوصفه مركزاً مؤقتاً.

بل أكثر من ذلك فالجاحظ لا يقتصر على الحكاية، بل يضمّن النقاشات بين فقهاء، وشعراء، ومتكلمين، فيكشف بذلك عن تناقضات المجتمع تجاه "المشوّه" جسدياً، وهذا يجعل النص أقرب إلى المنتج الثقافي المتعدّد الأصوات كما يصفه باختين³²، وهنا تُقلب الصورة السّاخرة إلى صورة تعكس الاعتزاز بالاختلاف، ويُنتج النص صوتاً جديداً لا يعترف بالتمييز التقليدي.

ثالثاً: التداخل بين الطّرفة والجديّة: يمتاز أسلوب الجاحظ بتوظيف الطّرفة والسّخرية كأدوات تحليل اجتماعي. فالطّرفة عنده ليست مجرد أداة للضحك، بل تتحوّل إلى وسيلة لكشف بنية الخوف من المختلف، ثمّ تقويضها تدريجياً عبر إعادة صياغة العلاقة بين العيب والقيمة، فحين يروي قصصهم وأخبارهم وينقل أحاديثهم وأشعارهم، فهو يسخر من المعيار الظاهري، لكنّه في الوقت ذاته يوجّه رسالة ضمنية مفادها أنّ الجمال الجسدي لا يُعادل التفوق الإنساني، والأسلوب الجاحظي هنا يقوم على ازدواجية المقصد: التّسليّة من جهة، والنقد من جهة أخرى. وهذا ما يجعل خطابه قابلاً لتفكيك أنماط الخوف والوصم.

الخاتمة:

تأتي دراسة آليات تفكيك الصورة التمثيلية لأصحاب العاهات في كتاب الجاحظ "البرصان والعرجان والحولان" لتسلط الضوء على مشروع فكري إنساني رائد في التاريخ العربي الإسلامي، حيث استطاع الجاحظ أن يحوّل خطاب الإقصاء والوصم إلى خطاب كرامة واحترام، عبر آليات سردية وبلاغية متقنة. لقد تجاوز الجاحظ النظرة السطحية للعاهة الجسدية، وأعاد بناء صورة ذوي العاهات كشخصيات فاعلة ومؤثرة في المجتمع، مؤكّداً على إنسانيتهم وقيمتهم بغض النظر عن اختلافاتهم الجسدية، ولعل أهم ما توصل إليه البحث من نتائج أن الجاحظ قد:

1. نجح الجاحظ في نزع الطابع الغرائبي والإقصائي عن أصحاب العاهات عبر الأنسنة والتعريف الدقيق بهويّتهم الاجتماعية والتاريخية.
2. عكس النظرة السلبية السائدة إلى رؤية تركز على الفضائل والإنجازات، محوّلًا أصحاب العاهات من موضوعات للوصم إلى ذوات فاعلة وفعالة.

3. فكك ثنائية الكمال والتقص المتحركة في نظرة المجتمع، مؤكداً أنّ الكمال الحقيقي يكمن في العقل والروح وليس في الجسد السليم فقط.
4. استخدم السخرية والبيان كأدوات نقدية لتفكيك خطاب الخوف والوصم، مما أتاح له إظهار تناقضات المجتمع تجاه ذوي العاهات بطريقة ذكية وحوارية.
5. اعتمد أسلوباً سردياً متنوعاً تعددي الأصوات، جمع فيه بين الطرافة والجدية، مما جعل النص خطاباً نقدياً مفتوحاً يرفض التمييز والوصم.

هوامش:

- ¹ عباس عباس، (2022)، الجاحظ وذوو الاحتياجات الخاصة كتاب البرصان والعرجان والعميان -دراسة وتحليل، دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 49، العدد 2.
- ² أماني حسن الشلقاني، أسامة محمد البحيري، (2023)، الكتابة عن ذوي الهمم في التراث العربي، المجلة العلمية لكلية الآداب، العدد 53.
- ³ ينظر على الترتيب:
- أبو المنذر هشام بن محمد بن الصائب الكلي (ت 204هـ)، (2015)، مثالب العرب مع نصوص من مثالب الهيثم بن عدي (ت 202هـ)، دراسة وتحقيق: جاسم ياسين الدرويش، وسليمة كاظم حسين، ط 1، دمشق، تموز للطباعة والنشر، ص ص (60-64).
- أبو جعفر محمد بن حبيب، المحرّر، تصحيح: إيلزة ليختين شتيتز، بيروت، دار الآفاق الجديدة.
- الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت 255هـ)، (1990)، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق: عبد السلام هارون، ط 1، بيروت، لبنان، دار الجبل.
- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (276 هـ)، المعارف، تحقيق وتقديم: ثروت عكاشة، ط 1، القاهرة، جمهورية مصر العربية، دار المعارف.
- أبو الفرج الأصفهاني، (2008)، الأغاني، تحقيق: إحسان عباس، ط 3، بيروت، لبنان، دار صادر.
- أبو علاء المعري، (2012)، رسالة الغفران، تحقيق: كامل كيلاني، ط 1، القاهرة، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- ابن عبد البر القرطبي، بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، د ط، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
- الحافظ، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، (1987)، كتاب الأذكياء، تقديم وتحقيق: عبد الرحمن ذيب الحلو، بيروت، لبنان، دار إحياء علوم الدين.
- الصفدي خليل بن أبيك، (1911)، نكت الهميان في نكت العميان، تحقيق: أحمد زكي، مصر، المطبعة الجمالية.
- عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، الازدهار فيما عقده الشعراء من الأحاديث والأثار نسخة إلكترونية متاحة على: <https://www.emaanlibrary.com/wp-content/uploads/2023/07/أبو%20علاء%20المعري.pdf>
- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصهباني (ت 430هـ)، (2006)، تحقيق: مصطفى خسر دومز التركي، ط 1، ج 2، دار ابن حزم، ص 514 وما بعدها.
- ⁴ الجاحظ يرد الاعتبار الإنساني إلى البرصان والعميان والعرجان والحولان، موقع البيان: <https://www.albayan.ae/sports/2005-10-11-1.983933> (تاريخ الزيارة: 10 سبتمبر 2025، الساعة 23:56).

5 أسامة العيسة، البرصان والعرجان والعميان في مرآة الجاحظ، موقع إيلاف: <https://elaph.com/Web/Archive/1075792200951472400.htm> (تاريخ الزيارة: 8 سبتمبر 2025، الساعة 11:16).

6 الجاحظ، البرصان والعرجان، مصدر سابق، ص 15.

7 نفسه، ص 14.

8 نفسه، ص 10 (المقدمة).

9 ينظر:

- إبراهيم صالح، (1972)، كتاب البرصان والعرجان والعميان والحوالان، تحقيق: محمد مرسي الخولي، د ط، بيروت، القاهرة، دار الاعتصام، ص ص (193، 201).

- عامر مشيش (مايو 2021)، نظرات في تحقيق عبد السلام هارون كتاب البرصان والعرجان والعميان والحوالان للجاحظ، السلسلة المحكمة-أبحاث (13)، السنة الرابعة، (النشر الرقمي) معهد المخطوطات العربية، القاهرة.

10 حاج هني محمد، رواق جميلة، (2020)، الأساليب البلاغية والروابط الحجاجية من خلال كتاب البرصان والعرجان والعميان والحوالان للجاحظ، مجلة المقرري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، المجلد 2، العدد 3، ص ص (93، 107).

11 Miles, M. "Disability and Deafness, in the context of Religion, Spirituality, Belief and Morality, in Middle Eastern, South Asian and East Asian Histories and Cultures: annotated bibliography."

Internet publication URLs: <http://www.independentliving.org/docs7/miles200707>

-Miles, M "Glimpses of Disability in the Literature and Cultures of East Asia, South Asia, the Middle East & Africa. A modern and historical bibliography, with some annotation." Internet publication URLs: www.independentliving.org/docs7/miles200807

12 Sara Scalenghe: The Deaf in Ottoman Syria, 16th - 18th Centuries. The Arab Studies Journal [Vol. 12/13, No. 2/1 \(Fall 2004/Spring 2005\)](http://www.ubwp.buffalo.edu/history-of-cds/middle-ages/key-players-in-the-medieval-period/al-jahiz), pp. 10-25.

13 Al-Jahiz- A History of Speech – Language Pathology , <https://ubwp.buffalo.edu/history-of-cds/middle-ages/key-players-in-the-medieval-period/al-jahiz>

14 الجاحظ، البرصان والعرجان، مصدر سابق، ص 14.

15 نفسه، ص ص (170-49).

16 نفسه، ص 56.

17 نفسه، ص 63.

18 عباس عباس، الجاحظ وذوو الاحتياجات الخاصة كتاب البرصان والعرجان والعميان -دراسة وتحليل، مصدر سابق، ص 18.

19 الجاحظ، البرصان والعرجان، مصدر سابق، مثالا لا حصرا، ص ص (200، 201، 210...202).

20 نفسه، ص 37.

21 نفسه، ص ص 237، 256.

22 نفسه، ص 48.

23 نفسه، ص 48.

24 نفسه، ص 36.

²⁵ نفسه، ص 301.

²⁶ نفسه، ص 45.

²⁷ ينظر: رفاة علي نعمة العزاوي، (2025)، الصورة البصرية في شعر العميان-بشار بن برد أمثودجا، مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، المجلد 6، العدد 2، حزيران، ص ص (4009-4039).

²⁸ الجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحوالان، مصدر سابق، ص 302.

²⁹ نفسه، ص 78.

³⁰ نفسه، ص 16.

³¹ أمل عبد الكريم أحمد، (2023)، تعدد الأصوات-إشكالية المصطلح، مجلة بحوث اللغات والآداب، العدد 66، يناير- مارس، ص 433.

³² باختين ميخائيل، (1986)، شعرية دوستوفسكي، ترجمة: نصيف التكريتي، مراجعة: حياة شرارة، الدار البيضاء، المغرب، دار توفيق، ص 38.

قائمة المراجع:

المصادر:

- 1- الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب الكتاني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت 255هـ)، (1990)، البرصان والعرجان والعميان والحوالان، تحقيق: عبد السلام هارون، ط 1، بيروت، لبنان، دار الجيل
- 2- أبو جعفر محمد بن حبيب، المحبر، تصحيح: إيلزة ليختين شستينر، بيروت، دار الآفاق الجديدة، أبي الفرج
- 3- عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، (1987)، كتاب الأذكياء، تقديم وتحقيق: عبد الرحمن ذيب الحلو، بيروت، لبنان، دار إحياء علوم الدين
- 4- الصفدي خليل بن أبيك، (1911)، نكت الهميان في نكت العميان، تحقيق: أحمد زكي، مصر، المطبعة الجمالية.
- 5- ابن عبد البر القرطبي، هجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق: مرسي الخولي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
- 6- أبو علاء المعزّي، (2012)، رسالة الغفران، تحقيق: كامل كيلاني، ط 1، القاهرة، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
- 7- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (276 هـ)، المعارف، تحقيق وتقديم: ثروت عكاشة، ط 1، القاهرة، جمهورية مصر العربية، دار المعارف.
- 8- أبو المنذر هشام بن محمد بن الصائب الكلي (ت 204هـ)، (2015)، مثالب العرب مع نصوص من مثالب الهيثم بن عدي (ت 202هـ)، دراسة وتحقيق: جاسم ياسين الدرويش، وسليمة كاظم حسين، ط 1، دمشق، تموز للطباعة والنشر.
- 9- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصهباني (ت 430هـ)، (2006)، تحقيق: مصطفى خصر دوفنز التركي، ط 1، ج 2، دار ابن حزم.

الكتب باللغة العربية :

- 1- إبراهيم صالح، (1972)، كتاب البرصان والعرجان والعميان والحوالان، تحقيق: محمد مرسي الخولي، بيروت، القاهرة، دار الاعتصام.

الكتب المترجمة:

1- باختين ميخائيل، (1986)، شعرية دوستوفسكي، ترجمة: نصيف التكريتي، مراجعة: حياة شرارة، الدار البيضاء، المغرب، دار توفال.

مقالات ومصادر إلكترونية:

- 1- أحمد أمل عبد الكريم، (2023)، "تعدد الأصوات- إشكالية المصطلح"، مجلة بحوث اللغات والآداب، العدد 66.
- 2- أماني حسن الشلقاني، أسامة كحمد البحيري، (2023)، المجلة العلمية لكلية الآداب، العدد 53.
- 3- الجاحظ يرد الاعتبار الانساني إلى البرصان والعميان والعرجان والحولان. موقع البيان <https://www.albayan.ae/sports/2005-10-11-1.983933>.
- 4- حاج هني محمد، روقاب جميلة، (2020)، الأساليب البلاغية والروابط الحجاجية من خلال كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ، مجلة المقرئ للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، المجلد 2، العدد 3.
- 5- السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت 911هـ)، الازدهار فيما عقده الشعراء من الأحاديث والأثار نسخة إلكترونية متاحة على: https://www.emaanlibrary.com/wp-content/uploads/2023/07/أبو_علاء_المعري
- 6- عامر مشيش (مايو 2021)، نظرات في تحقيق عبد السلام هارون كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ، السلسلة المحكمة-أبحاث (13)، السنة الرابعة، (النشر الرقمي) معهد المخطوطات العربية، القاهرة.
- 7- عباس عباس، (2022)، الجاحظ وذوو الاحتياجات الخاصة كتاب البرصان والعرجان والعميان -دراسة وتحليل، دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 49، العدد 2.
- 8- العزاوي، رفاة علي نعمة، (2025)، الصورة البصرية في شعر العميان - بشار بن برد أمودجا، مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، المجلد 6، العدد 2.
- 9- العيسة، أسامة. "البرصان والعميان في مرآة الجاحظ". موقع إيلاف: <https://elaph.com/Web/Archive/1075792200951472400.htm>

المقالات الأجنبية:

- 1-Al-Jahiz- A History of Speech – Language Pathology , <https://ubwp.buffalo.edu/history-of-cds/middle-ages/key-players-in-the-medieval-period/al-jahiz>
- Internet publication URLs: <http://www.independentliving.org/docs7/miles200707>
- 2-Miles, M "Glimpses of Disability in the Literature and Cultures of East Asia, South Asia, the Middle East & Africa. A modern and historical bibliography, with some annotation." Internet publication URLs: www.independentliving.org/docs7/miles200807
- 3-Miles, M. "Disability and Deafness, in the context of Religion, Spirituality, Belief and Morality, in Middle Eastern, South Asian and East Asian Histories and Cultures: annotated bibliography."
- 4-Sara Scalenghe: The Deaf in Ottoman Syria, 16th - 18th Centuries. The Arab Studies Journal Vol. 12/13, No. 2/1 (Fall 2004/Spring 2005).